

تفسير ابن كثير

وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْطُوهَا^ج وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا

وقوله : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي : جعلها لكم من قتلكم لهم (وأرضا

لم تطئوها) قيل : خير . وقيل : مكة . رواه مالك ، عن زيد بن أسلم . وقيل : فارس

والروم . وقال ابن جرير : يجوز أن يكون الجميع مرادا . (وكان الله على كل شيء قديرا)

: قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن

وقاص قال : أخبرني عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس ، فسمعت وئيد الأرض

ورائي ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه ، قالت :

فجلست إلى الأرض ، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه ، فأنا أتخوف

على أطراف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمر وهو يرتجز ويقول

: لبث قليلا يشهد الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل قالت : فقامت فافتحمت

حديقة ، فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيها عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه

تسبغة له - تعني المغفر - فقال عمر : ما جاء بك ؟ لعمرى والله إنك لجريئة ، وما يؤمنك

أن يكون بلاء أو يكون تحوز . قالت : فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت بي
ساعتئذ ، فدخلت فيها ، فرفع الرجل التسبعة عن وجهه ، فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال
: يا عمر ، ويحك ، إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله تعالى ؟
قالت : ويرمي سعدا رجل من قريش ، يقال له ابن العرقه بسهم ، وقال له : خذها وأنا
ابن العرقه فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله سعد فقال : اللهم ، لا تمنني حتى تفر عيني
من قريظة . قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية ، قالت : فرقا كلمه ، وبعث الله
الريح على المشركين ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا . فلحق أبو
سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا
في صياصيههم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمر بقبة من آدم
فضربت على سعد في المسجد ، قالت : فجاءه جبريل ، عليه السلام ، وإن على ثيابه لنقع
الغبار ، فقال : أوقد وضعت السلاح ؟ لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح ، اخرج
إلى بني قريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ، وأذن في
الناس بالرحيل أن يخرجوا ، [فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم] فمر على بني غنم

وهم جيران المسجد حوله فقال : ومن مربكم ؟ قالوا : مربنا دحية الكلبي - وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل ، عليه الصلاة والسلام ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأشار إليهم أنه الذبح . قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انزلوا على حكم سعد بن معاذ " . فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ] فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه ، وحف به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، حلفائك ومواليك وأهل النكابة ، ومن قد علمت ، قالت : ولا يرجع إليهم شيئا ، ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لي ألا أبالي في الله لومة لائم . قال : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قوموا إلى سيدكم فأنزلوه " . فقال عمر : سيدنا الله . قال : " أنزلوه " . فأنزلوه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " احكم فيهم " . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذراريهم ، وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله : " لقد

حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله " . ثم دعا سعد فقال : اللهم ، إن كنت أبقيت
على نبيك من حرب قريش شيئا ، فأبقني لها . وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم ،
فأقبضني إليك . قال : فانفجر كلمه ، وكان قد برئ منه إلا مثل الخرص ، ورجع إلى
قبته التي ضرب عليه رسول الله . قالت عائشة : فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر ، وعمر قالت : فوالذي نفس محمد بيده ، إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء
عمر ، وأنا في حجرتي . وكانوا كما قال الله تعالى : (رحماء بينهم) . قال علقمة : فقلت
: أي أمه ، فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا
تدمع على أحد ، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته . وقد أخرج البخاري ومسلم من
حديث عبد الله بن نمير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة نحوه من هذا ،
ولكنه أخصر منه ، وفيه دعاء سعد ، رضي الله عنه .